

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الأفعال الكلامية غير المباشرة في رواية نبضات آخر الليل مقارنة تداولية

Indirect Speech Verbs in the Novel "Last Night Pulses"

A Pragmatic Approach

حنان مرابط ¹Hanane merabet . وسيلة بوسيس ²Wassila boussis

طالبة دكتوراه. جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل. كلية الآداب واللغات. قسم اللغة والأدب العربي. مخبر البحث والدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة.

PHD Student. University of Mohamed Seddik Ben Yahia-Jijel. Faculty of Letters and Language. Department of Arabic Language and Literature. Research Laboratory for Literary, Linguistic, Educational, Studies and Translation.

hanane.merabet@univ-jijel.dz

أستاذة التعليم العالي. جامعة محمد بوقرة بومرداس. كلية الآداب واللغات. قسم اللغة الفرنسية. مخبر البحث والدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة.

Professor of Higher Education. University of M'hamed Bougara-Boumerdes. Faculty of Letters and Language. Department of French Language. Research Laboratory for Literary, Linguistic, Educational, Studies and Translation.

w.boussis@univ-boumerdes.dz

الإيميل : hanane.merabet@univ-jijel.dz

المؤلف المراسل: حنان مرابط Hanane merabet

تاريخ القبول : 2024/12/26

تاريخ الاستلام: 2024/09/30

الملخص :

يتناول هذا المقال الفعل الكلامي غير المباشر بعديّ أحد مفاهيم الدرس التداولي الذي اهتم بتحليل الخطاب، وتفسير الدلالات والتأويلات؛ حيث يسعى إلى مقارنة الملفوظات التي عُذت أفعالا كلامية غير مباشرة، وإبراز قوتها الإنجازية من منظور لساني تداولي على نوع جديد من النصوص ألا وهو نص الرواية البوليسية "نبضات آخر الليل" للكاتبة "نسيمة بولوفة"، وقد خلصت الدراسة إلى أنّ الأفعال الكلامية غير المباشرة وردت بكثرة في الرواية، وبمقاصد متنوّعة خلقت مجالا لتفسيرات مختلفة، كما أدّت إلى الكشف عن المعلومات تدريجيا .
الكلمات المفتاحية: التداولية؛ الفعل الكلامي غير المباشر؛ القوة الإنجازية الحرفية؛ القوة الإنجازية المستلزمة.

Abstract

This paper deals with the indirect speech verbs as one of the concepts of the pragmatic study that focuses on discourse analysis and interpretation of connotations and interpretations. It seeks to approach the utterances that consisted in indirect speech verbs, and highlight their performative power from a pragmatic linguistic perspective on a new type of texts, namely the text of the detective novel "Last Night Pulses" of the novelist Nassima BOULOUPA. The study concluded that indirect speech verbs appeared frequently in the novel, with various purposes that created a possibility for different interpretations and led to the gradual disclosure of information.

Keywords : Pragmatics; Indirect Speech Verb; Literal Performative Force; Implicit Performative Force.

مقدمة:

انبثق مفهوم الفعل الكلامي على يد الفيلسوفين الإنجليزيين "أوستين" و "سيرل"، ثم تطور عند "غرايس" الذي أولى اهتماما كبيرا بالفعل الكلامي غير المباشر في عملية التواصل، وأقر بأن التأويل الذهني هو المبدأ الذي يساعد في فك شفرة المخاطب/ المخاطب، ومعرفة المقاصد من الكلام، لذلك فإن هذه الدراسة تتجه إلى تناول الفعل الكلامي غير المباشر كما جاء في الدرس اللساني الغربي، وتعمق بحثه في الرواية البوليسية الجزائرية "نبضات آخر الليل".

ويستمد هذا البحث أهميته من سعيه إلى التقريب بين الجانبين اللساني التداولي والأدبي، فضلا على ذلك فإنه يهدف إلى تبين مدى قابلية تطبيق النظرية التداولية على الرواية البوليسية، وذلك من خلال تحديد ركائز القوة الإنجازية للأفعال الكلامية غير المباشرة، وما يصاحبها من الانتقال من القوة الحرفية إلى القوة المستلزمة في رواية "نبضات آخر الليل" كونها تملك خصوصية معينة لا نجدها في الأنواع الأدبية الأخرى؛ فهي تضمّ عددا كبيرا من الأفعال والمقولات الدالة على تدفق الأحداث وتحولها المستمر، ضيف إلى ذلك ثرائها بالمضممرات والشكوك التي تضع القارئ في خضم الأحداث، وتميزها بالمقاطع الحوارية؛ حيث تُسرد الأحداث فيها في ثنايا الحوار.

ولتحقق البحث أهدافه رسمنا مجموعة من التساؤلات التي حاولنا الإجابة عليها في هذه الدراسة، وهي: ما حقيقة الأفعال الكلامية؟ وكيف تجلّي العمل بالقول في إطار نظرية أفعال الكلام؟ كيف تظهر الفعل الكلامي غير المباشر في رواية "نبضات آخر الليل"؟ وكيف ساهم في إزالة الغموض والإبهام في الرواية؟.

و للإجابة على هذه التساؤلات قسمنا الموضوع إلى ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التداولية.

المبحث الثاني: مجالات البحث التداولي.

المبحث الثالث: الفعل الكلامي: المفهوم والخصائص.

المبحث الرابع: أنواع الفعل الكلامي الصّورة النموذجية لنظرية أفعال الكلام.

المبحث الخامس: ملخص الرواية.

المبحث السادس: الأفعال الكلامية غير المباشرة في الرواية.

المبحث الأول: تعريف التداولية.

ليس من اليسير أن نُقدّم تعريفا جامعًا ومُقنعا في الوقت نفسه للتداولية نظراً لتعدد وتشعب الحقول المعرفية التي استقت منها أفكارها ومناهجها، وكذلك تداخلها مع العلوم التي تشترك معها في بعض جوانب الدراسة، وتجنبنا للإطناب نقدّم المفهوم الذي يتفق عليه معظم الباحثين والدارسين في أن التداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال تمييزاً لها عن الدراسات الشكلية، يقول في هذا الصدد "بهاء الدين محمد زيد": >>التداولية دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام (...)<< بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية، أو في تراكيبها النحوية¹، وتسعى التداولية إلى إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي؛ لأنّ هذا الاستعمال >>يشير إلى أنّ المعنى ليس متأسلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول (...) اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدّد (...) وصولاً إلى المعنى الكامل في كلامٍ ما²، وهذا ما يدل أن التداولية تجمع في معالجتها للقضية اللغوية بين الكلمات والعبارات والأقوال، وبين قُطبيّ العملية التواصلية (المتكلم/ الكاتب)، (المستمع/ القارئ)، وبين السياق الذي جاءت فيه تلك الكلمات لبلوغ الغاية من التواصل، وهي البحث عن مقاصد المتكلمين التي قد تُفهم مباشرة، أو قد تكون مخفية ومضمرة لا يحلها إلّا المقام التواصلية الذي وردت فيه.

وفي حديثنا في مفهوم التداولية لا نغفل الكلام في مصطلح التداولية فهو الآخر لاقى صعوبة كبيرة عند الباحثين أثناء البحث عن المقابل العربي للمصطلح الفرنسي "Pragmatique"، والمصطلح الإنجليزي "Pragmatics"؛ إذ تُرجم إلى عدّة مصطلحات نذكر منها: >>التداولية، التداوليات البراغماتية، البرجماتية، الوظيفية، السياقية.....³، وقد استحسّن "طه عبد الرحمان" مصطلح "التداولية" كونه يجمع بين الاستعمال والتفاعل، وأثره "الجيلالي دلاش" لخفته وسلاسته، وتبناه "أحمد المتوكل" وغيره من الباحثين العرب، فأصبح المصطلح الشائع في الوسط العربي.

المبحث الثاني: مجالات البحث التداولي.

تقوم التداولية على البحث في خمسة جوانب مختلفة تشكل ركائز أساسية، لكل منها خصائص ومميزات تتمثل في:

فهذا المقطع الحوارى فعله الكلامى "لن نذهب" يفيد الإخبار بحصول أمر عدم الذهاب إلى الحديقة، وفعله التأثيرى بكاء البنت الدال على الحزن والرفض.

مما سبق تتضح لنا بعض خصائص الفعل الكلامى أنه: >> دال وإنجازى وتأثيرى وقصدي⁵ دال أي أنه يحمل معنى هذا المعنى يكون قابلاً للفهم، إنجازى أي أنه يُنجز الأفعال بالكلمات، تأثيرى أي يترك أثره لدى السامع، قصدي أي >> يصح طلب المسؤولية عنه⁶.

وتجدر الإشارة. في هذا المقام. إلى خصائص أخرى مهمة ومطلوبة لنجاح الفعل الإنجازى، نوجزها فيما يلي⁷:

فعل متوجه به إلى مخاطب: ويعني ذلك وجود نوع من التعاون بين المتكلم والمتلقي لفهم مقصد الكلام.

فعل مقيد: أي تقيده وتوجه المبادئ والقواعد المتعارف عليها، وكذا سلوك المشاركين معنا في المحادثة.

فعل له طبيعة سياقية: لأن إدراك المقاصد يتوقف على مدى انسجام المتكلم مع السياق بشكل عام، وعلى مدى انتباه المتلقي لهذا الانسجام.

والفعل الكلامى لا ينجلي في تعريفه وخصائصه فقط بل في تصنيفاته وأنواعه أيضاً.

المبحث الرابع: أنواع الفعل الكلامى: الصورة النموزجية لنظرية أفعال الكلام.

في خطوة كبيرة من نوعها وضع الفيلسوف الإنجليزى "سيرل" الأفعال الكلامية في قالبها الأخير بعد عدة جهود من أستاذه "أوستين" الذي تعتبر تصنيفاته اللبنة الأولى نحو تأسيس نظرية أفعال الكلام، وتكمن جهود هذا الأخير في تصنيفه للفعل الكلامى باعتبار الحدث إلى: فعل القول وهو الفعل النطقى، الفعل المتضمن في القول وهو الفعل الإنجازى، الفعل الناتج عن القول وهو الفعل التأثيرى، وباعتبار الصنف إلى: الحكميات والتنفيذيات والوعديات والسلوكيات والإيضاحات، ضف إلى ذلك وضعه لشروط نجاح الفعل اللغوى، لتأتي تصنيفات "سيرل" التي نعدها مراحل تكميلية لتصنيفات "أوستين"؛ حيث قام ببعض التعديلات، وطوّز بعض الأشياء، ووضع الأسس المنهجية للنظرية، ولعل أهم تعديلين قام بهما "سيرل" هما: تصنيفه للأفعال الكلامية إلى أربعة أصناف بدل ثلاثة بإضافة المحتوى القضوي الذي >> يتضمن الإحالة والحمل⁸، وإعادة تصنيفه

"الإشارات" التي تهتم بتفسير الصيغ اللغوية التي نوظفها للإشارة إلى شيء ما كأسماء الإشارة والضمائر داخل السياق الذي ترد فيه، و"الافتراض المسبق" الذي يمثل المعطيات والافتراضات التي يضعها المتكلم في ذهنه قبل التفوه بالكلام؛ أي أن المتكلم قد يوجه كلامه إلى المتلقي آخذا بعينه الافتراضات التي تكون لديه، ويؤمن بأن المستمع عارف بها، وتُعدّ جزءاً مما يتم إيصاله دون قوله، و"الاستلزام الحوارى" الذي يقوم على "مبدأ التعاون" ويسعى إلى تحقيق الإفادة والوضوح في الكلام، و"الحجاج" الذي يُعنى بدراسة الطريقة التي يتبناها المتكلم للتغيير من معتقدات ومفاهيم المتلقي في سبيل إقناعه، و"الأفعال الكلامية" هي أساس ما سبقها، وتمثل الحجر الأساسى الذي بُني عليه الاتجاه التداولي. نسلط الضوء على هذا المفهوم فيما يلي بدءاً بتحديد معنى الفعل الكلامى وخصائصه.

المبحث الثالث: الفعل الكلامى: المفهوم والخصائص

يُعدّ الفعل الكلامى نواة مركزية في كثير من الأعمال التداولية كونه المجرّد الحقيقى للاستعمالات اللغوية في الواقع، فحواه: >> أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازى تأثيرى، يُعدّ نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل بأفعال قولية(...) إلى تحقيق أغراض إنجازية (...)، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (...)، ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المتلقي، اجتماعياً أو مؤسسياً، ومن ثمّ إنجاز شيء ما⁴.

حسب التعريف نفهم أن الفعل الكلامى يمر بثلاث مراحل حتى نستطيع أن نقول عنه أنه أنجز عملاً ما في الواقع، فالإنسان عندما يتواصل مع الآخرين -بطبيعة الحال- يقوم بنطق مجموعة من الكلمات والأقوال على أن تكون سليمة بنائياً ودالياً، وهي المرحلة الأولى، ثمّ على هذه الكلمات والأقوال أن تنجز عملاً ما فتُصحّ أو تُخبر أو تطلب أو تأمر أو تتمنى أو تشكر أو تعيد... وهي المرحلة الثانية، ويكون مساعها التأثير في مشاعر ومعتقدات المستمع فتُضلل أو تُقنع أو تُرشّد أو ...وهي المرحلة الثالثة، وللتوضيح أكثر نقدم المثال التالى:

قال الأب: لن نذهب إلى حديقة الحيوانات اليوم.

ردّت البنت باكية: لا يا أبى.

والحوار لنقل أحداث القصة. ولنقدّم صورة عامة عن هذه الرواية نُوردُ العناصر التالية:

خيوط الجريمة: بدأت خيوط الجريمة بوصف الكاتبة الأمور المرعبة التي تحدث للضحية في بيتها في منتصف الليل عند كل مرة يغادر فيها زوجها منزلها بسبب ظروف العمل؛ حيث يتم إرعاها وإخافتها وتشويش عقلها سعيًا إلى جنونها للاستيلاء على ثروتها باعتبارها الوريثة الوحيدة للعم "علي"، وبعد فشل الخطة "أ" يتم الانتقال للخطة "ب" حيث تُقتل عن طريق تناولها للحليب المليء بجرعة زائدة من الأقراص المهذنة لتبدو وكأنها انتحرت.

الضحية: هي الروائية والكاتبة المشهورة "صافيناز" المنطوية على نفسها، الباردة في عواطفها، العادية في الجمال التي تزوج بـ "رياض" ابن عمها وصديق الدراسة، الرجل الوسيم، المرح، الرياضي الذي تتمناه كل فتاة، يتزوجان رغم التناقض بينهما بعد أن كتب عمهما "علي" كل ميراثه لابنة أخيه "صافيناز" بدلا من ابن أخيه "رياض" لوجود خلافات بينه وبين والد "رياض".

المتهمون: "رياض" زوج "صافيناز" هو المتهم الأول والأخير في القضية، وقد قُبِضَ عليه وحُكِمَ بالمؤبد لعدة أسباب من بينها أنه كان من قدم الحليب لزوجته. زُعم وجود بعض الشخصيات المشتبه فيها مثل: "طاوس" الخادمة التي كان يبدو أنها تكره "صافيناز" بسبب توبيخها لها عند كل مناسبة، و"أكلي" السائق الذي عينته "صافيناز" لملاحقة زوجها.

بطلا الرواية: "ليلي" الشخصية التي اختارتها الكاتبة للبحث في لغز هذه الجريمة، صديقة الزوجين أيام الثانوية، وقد وصفتها بالمحبة لعملها، الماهرة، إلا أنها أخفقت في كل استجواباتها، ولم تستطع تيرئة "رياض"، ففتحت لنفسها نافذة لتحيا من جديد بعد كل ما عاشته من ضغوطات موت "صافيناز" وسجن "رياض" بحب "سمير" محامي "رياض". أما البطل الثاني فهو "كمال" الشخصية الثانوية التي استبعدت من القضية بسبب انشغاله بمسألة ابنه "وسيم".

حل لغز الجريمة: جعلت الكاتبة القارئ يظن أن "ليلي" هي من ستحل لغز الجريمة، لكنها فاجأتنا بكون "كمال" المستبعد عن القضية هو من حلّ هذا اللغز بعد عودته من "وهران" بمعلومات جمعها عن "سمير" الذي تبين أنه ابن الخالة "فاطمة" تلك العجوز خادمة "صافيناز" وسندها في الحياة

للأفعال الكلامية إلى: الإخباريات، التوجيهيات، الالتزاميات، التعبيريات، والإعلانيات، أما خطوته الواسعة- كما أسلفنا الذكر- تمثلت في نمذجته لنظرية أفعال الكلام؛ وذلك بتحديد أنواع الفعل الكلامي فميز بين الأفعال الكلامية المباشرة؛ وهي التي >> تطابق فيها الأفعال الإنجازية مُراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول⁹، وبين الأفعال الكلامية غير المباشرة التي >> تخالف فيها الأفعال الإنجازية مُراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يؤدي على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر¹⁰؛ وبالتالي نفهم أنّ الفعل الكلامي قد ينجز فعلا مباشرا على نحو "اكتب الدرس" حيث المطلوب يوافق المقصود، وهو الأمر بكتابة الدرس، وقد يُنجز فعلاً غير مباشر على نحو "محمد ذئب" حيث المطلوب يخالف المقصود، وهو التحذير من محمد في أمرٍ ما يحدده السياق.

وقد اشتغل الباحثون على الفعل الكلامي غير المباشر، وعلى رأسهم "غرايس" الذي أصبح يميز في نظرية "أفعال الكلام" بين القوة الإنجازية الحرفية، وبين القوة الإنجازية المستلزمة؛ حيث تدرك الأولى >> مقاليا والتي يدل عليها بصيغة الفعل كما هو الأمر بالنسبة إلى الأمر أو الأداة كما هو الحال في "النهي"، أو بالتنعيم أو بفعل إنجازي مثل: سأل- التمس- وعد...¹¹ بينما تدرك الثانية >> مقاميا والتي تستلزمها الجملة في سياقات مقامية معيّنة، ولا قرائن بنيوية تدل عليها في الصورة¹²

وهذا الجهد المشترك بين "سيرل" و"غرايس" نصبح أمام ثلاثة مستويات تمس الفعل الكلامي غير المباشر، وهي: المحتوى القضوي.

القوة الإنجازية الحرفية.

القوة الإنجازية المستلزمة.

وهذا ما نحاول تقصيه في "رواية نبضات آخر الليل" سعيًا إلى البحث عن مدى تجانس هذه المعطيات مع خصوصية الرواية البوليسية.

المبحث الخامس: ملخص الرواية.

"نبضات آخر الليل" رواية بوليسية من 105 صفحة صادرة عن دار فيسيرا، حُطّت بأنامل الروائية الصحفية "نسمة بولوفة"، تحكي عن جريمة قتل غامضة، جرفتها صراع الطبقات الاجتماعية، اعتمدت الكاتبة فيها على الوصف

تسترجع "ليلي" ذكرياتها مع "رياض" أيام الثانوية، تسأله كيف عرّف مكانها، فيجيبها أنه استعلم الأمر من والدها، ثم يستطرد قائلا: >> إنك شبل من ذاك الأسد، أنت مثل حضرة العميد مراد تجري في دمائك حب عمل الشرطة ويستهبوك عالم التحقيقات¹⁴.

تتمثل القوة الإنجازية الحرفية للعبارة في وصف "رياض" "ليلي" مادحًا إيّاها بتعابير مجازية فيشبهها بالشبل موظفا القرينة (إنّ) الدالة على التأكيد، ويشبه والدها بالأسد، فهي - حسب - نسخة عنه في حبّها لعملها.

حمل هذا الأسلوب الخبري - على غرار الوصف والتقريب - أفعالاً بصيغة غير مباشرة تُفهم من خلال السياق، أولهم تتمثل قوته الإنجازية المستلزمة في القول بشجاعة وقوة "ليلي"، وكذا الاعتراف بإصرارها وعدم استسلامها، وهو ما جعل "رياض" يختارها من بين عشرات المحققات؛ أي أنه يريد أن يقول لها (المعنى المستلزم الأخير) أنت الوحيدة القادرة على مساعدتي.

يتواصل الحوار القائم بين "ليلي" و "رياض" فتسأله عن حال زوجته "صافيناز"، وتمدح قدراتها الخارقة في الكتابة خاصة بعد أن قرأت روايتها "أشباح المدينة"، فيردّ قائلا: >> لقد انقلب السحر على الساحر يا ليلي، وطلق النوم جفون صافيناز، وصارت تعيش كابوسا حقيقيا، كأنها داخل روايتها، وصارت يومياتها وليالها دُعرا متواصلًا¹⁵.

تتمثل القوة الإنجازية الحرفية للعبارة في وصف "رياض" الحالة المزرية التي آلت إليها "ليلي" بعد الانتهاء من كتابة روايتها التي شبهها بالسحر الذي انقلب عليها؛ إذ أصبحت تعيش أحداثها في الواقع، واستعمل في هذا الوصف القرينة (لقد)، التشبيه، الفعلين (انقلب- صارت) الدالين على التحول.

وظف "رياض" لفظة "لقد" في بداية جوابه ليؤكد لـ "ليلي" أنّ "صافيناز" ليست بخير، وحمل جوابه فعلين كلاميين غير مباشرين، تتمثل القوة الإنجازية المستلزمة للأول في الاستغاثة بـ "ليلي" وطلب المساعدة منها، أمّا الثاني فقد أخذ شكلا مفاده التحسر على حال زوجته.

في حوار دار بين "ليلي" و "رياض" بعد أن أُلقي عليه القبض بتهمة قتل "صافيناز"، تسأله في زنزانته قائلة: >> رياض أريد مساعدتك، ولأتمكن من ذلك أصدقني القول، هل قتلت صافيناز؟.

التي لم تشك فيها "ليلي" يومًا؛ فقد كوّنت عن نفسها صورة حسنة لا تدع للشك، لتبين في الأخير أنها والدّة "سمير" الذي يعتبر الابن غير الشرعي للعم "علي" هذا الأخير لم يعترف به وحرمة من ميراثه، الميراث الذي ترى العجوز أن ابنها أولى به، فخططت لقتل "صافيناز" باستئجارها أشخاص لإرعابها، كما كانت تُخفي حاجياتها من أماكنها لتصيبها بالجنون، ولمّا فشلت وتبين سلامة عقل الضحية، التجأت إلى خطة أخرى، وهي قتلها بالأقراص المنوّمة وإلصاق التهمة في رياض، وهكذا تكون ضربت عصافيرين بحجر واحد، التخلص من الزوجين، وكسب الميراث.

المبحث السادس: الأفعال الكلامية غير المباشرة في الرواية.

قبل البدء في تحديد الأفعال الكلامية غير المباشرة في الرواية يوقفنا عنوانها "نبضات آخر الليل" نتأمله بمعناه الحرفي، فنقول ليس من المعقول أن يكون لليل نبضات؛ إنه فعل كلامي غير مباشر أرادت من خلاله "نسيمة بولوفة" أن تبين أن حيثيات القصة واقعة في منتصف الليل، ومُحدثة لنبضات مُقلقة تُؤحي بلا شك بحدوث أمرٍ مُرعب كجريمة غامضة.

اشتملت رواية "نبضات آخر الليل" على مقاطع حوارية - كما أسلفنا الذكر - سُردت الأحداث في ثناياها، ولعلّ هذا راجع للتحقيق البوليسي الذي يستدعي بالضرورة استجواب الشخصيات، ونظرا لضيق حجم البحث نختار بعض الحوارات المتفرقة في ثنايا الرواية لاستنطاق ما ورد فيها من أفعال غير مباشرة:

في حوار بين "ليلي" و "رياض" أثناء زيارته الفجائية لها في مكتبها، وبعد رؤيتها له مباشرة، قالت: >> لا أصدق رياض جاء لزيارتي، يا للمفاجأة، لم نلتقي منذ مدّة طويلة؟¹³.

توحي هذه الجملة حرفيا بتعجب "ليلي" من زيارة "رياض" لها، وقد دلّ على ذلك الفعل "لا أصدق"، وتوجه له سؤالاً عن طول مدّة لقائهما.

يبدو من سؤال "ليلي" أن استفهامها كان تقريريا، فهي لا تبحث عن طول وقصر المدّة التي التقيا فيها آخر مرة، لأن كلاهما يعرفان أنهما لم يلتقيا منذ مدة طويلة، ولكن المعنى المستلزم أنها تتساءل عن سبب هذه الزيارة.

العجوز أن تكونها عن نفسها أمام المحققة، فهي تريد أن تقول أنا لا أدخل في حياة "صافيناز" ما لم تطلب هي ذلك، ولم أتطفل عليها يوما، أما الثاني فقوته الإنجازية تتمثل في الامتنان، امتنان "ليلي" لخدمتها التي لم تكن تساعد في الأكل فقط بل كانت لها أمًا وسندًا وصدرًا حنونًا، فكيف تنكرها الآن؟؟!!

في حوار بين "ليلي" والخالة "فاطمة" تسأل "ليلي" الخالة قائلة:

>> ألم تلاحظي أي ظواهر غريبة؟.

هذا البيت قطعة من الجنة، يعمه الحب والسلام²⁰

سؤال توجهه "ليلي" للعجوز إذا كانت تلاحظ أمورًا غريبة في البيت مثلما تدعي "صافيناز"، فتردّ عليها واصفة البيت بالجنة موظفة التشبيه.

حمل جواب العجوز -غير الوصف والتقرير- فعلا كلاميا غير مباشر يحمل قوة إنجازية مفادها "النفي"، فهي تريد أن تقول لا ظواهر غريبة في هذا البيت.

في حوار بين "ليلي" و"صافيناز" كانت فيه هذه الأخيرة تشرح ما يحدث لها من أمور غريبة، تخطر فكرة ببال "ليلي" فتهمّ قائلة:

>> على ذكر البيت المرعب أليس لديك رواية تحت هذا العنوان "البيت المرعب"؟؟²¹

سؤال توجهه "ليلي" لـ "صافيناز" تسألها عما إذا كانت كتبت رواية باسم "البيت المرعب" قبلا، موظفة الاستفهام، وقد دلّت عليه بالصيغة (أليس).

لم يكن الغرض من سؤال "ليلي" البحث عن الجواب، فاستفهامها كان تقريريا؛ لأنها تعلم أن "صافيناز" كتبت هذه الرواية، وإنما خرج الاستفهام إلى فعل كلامي غير مباشر، فهي تريد أن تقول لها أنت تعيددين معاشة أحداث روايتك، وما يحدث لك من نسج خيالك.

في حوار آخر بين "ليلي" و"صافيناز" تسألها "ليلي" عن "رياض" قائلة:

>> أعتقد أنّ رياض هو حب حياتك، وقد حصلت عليه، هل هناك مشكلة تعكر صفو حياتكما؟.

إطلاقا ليس بيني وبين رياض أية مشاكل، فرياض حقا رجل مميز، وبوسعه إسعاد أية امرأة، لكن للأسف إحساس يقول لي أنّ فرحتي عابرة، وغير حقيقية، أشعر أن مأساة ما

كيف تشكين لحظة أني أقدمت على قتل صافيناز؟¹⁶
تبدي "ليلي" رغبتها الشديدة في مساعدة "رياض" فتوجه له سؤالًا مباشرًا إذا كان قد قتل زوجته، فيجيبها هذا الأخير بسؤال استفهامي عن كيفية شكها فيه، دلّ عليه بالأداة (كيف)، تتمثل قوته الإنجازية الحرفية في الاستغراب.
حمل ردّ "رياض" فعلا كلاميا غير مباشر تتجلى قوته الإنجازية المستلزمة في الاستنكار؛ فهو يستنكر شكوك "ليلي" التي طالما اعتبرها صديقتها، وهو الذي لجأ إليها وقت الحاجة، واختارها من بين الجميع لتكون مساعده، فكيف تشك به الآن؟؟!! وإضافة إلى الاستنكار نجد أفعالا أخرى غير مباشرة نستنبطها من جوابه، تدل على النفي (نفي قتله لزوجته)، وهو الأمر الذي أكدّه لاحقا بقوله: >> طبعًا لم أقتلها¹⁷، والفعل غير مباشر الثالث تجلت قوته الإنجازية المستلزمة في محاولة إقناع "ليلي" ببراءته.

يستمر الحوار بين "ليلي" و"رياض":

>> لكن في المدة الأخيرة، كثرت شجاراتكما؟.

وهل تعرفين أزواجًا لم يعتادوا على الشجار؟.¹⁸

تستفسر "ليلي" من "رياض" إن كان يتشاجر مع زوجته كثيرا، وهذا استنادا للمعلومات التي أخذتها من الخالة "فاطمة"، فيجيبها مستعلما إن كانت تعرف أزواجًا لا يتشاجرون، موظفا الاستفهام، وقد دلّ عليه بالأداة (هل).

حمل الاستفهام التقريري "لرياض" فعلا كلاميا غير مباشر، فهو يريد أن يخبر "ليلي" أن كل الأزواج يتشاجرون.

في حوار بين "صافيناز" والخالة "فاطمة"، وبوجود "ليلي" التي كانت ضيفة عندها، قامت العجوز كما سمتها الساردة بتقديم الطعام على المائدة قائلة: >> أعتقد أنه من الأفضل تركّ الصديقتين لوحدهما دون أن تتطفل عليهما العجوز.

ترد صافيناز: تعريفين أن الأكل من دونك لا طعم له يا خالة¹⁹.

تظن العجوز أنّ لا مكان لها على طاولة الأكل مع الضيفة "ليلي"، وقد استعملت فعل الظن (أعتقد)، تجلت قوته الإنجازية الحرفية في الإخبار، فتدّ "صافيناز" مؤكدة لها أن الأكل لا يحلو من دونها موظفة الفعل (تعرفين) الدال على التأكيد.

حمل هذا الحوار فعلين كلاميين غير مباشرين، الأوّل قوته الإنجازية المستلزمة تتمثل في تلك الصورة الحسنة التي تريد

توجه "أمل" لـ "كمال" سؤالين استفهاميين عما إذا عاد للتدخين، وإذا لم يتوقف عن هذه العادة موظفة الأداتين (هل) و(ألم).

يخرج الاستفهام التقريري هنا إلى فعلين كلاميين غير مباشرين الأول مفاده الاستنكار، والثاني مفاده التوبيخ، والواضح أن السبب الذي جعل "كمال" يدخن هو "أمل" ومشاكلها، وهو ما دلّ عليه قوله: «ما إن رأيتك عاودني حيني إلى التدخين»²⁷.

يتواصل الحوار بين كمال وطليقته:

«كمال دعني أقول لك أنك أسوأ أب رأيته في حياتي، إنك لا تسأل عن ابنك إطلاقاً.

حقاً؟ يا أحسن أم في الدنيا؟.. هل تعرفين أنك تسكنين في الطائرة أكثر مما تسكنين قرب ابنك، كثرت رحلاتك إلى باريس، وصرت تتركين ابنك وحيداً مع امرأة غريبة تسمى المربية»²⁸.

تخبر "أمل" طليقتها أنه تخلى عن مسؤولياته اتجاه ابنه، فيردّ عليها محتقراً أمومتها، مقللاً من شأنها، مخبراً إياها بكثرة غيابها عن ابنها، موظفاً استفهاماً دلّ عليه بالأداة (هل)، وصيغة إخبارية دلّ عليها بالأفعال (كثرت، صرت...)، كما وظف التشبيه إذ شبهها بمضيف الطيران لكثرة رحلاتها.

حمل كلام "أمل" فعلاً كلامياً غير مباشر تمثلت قوته الإنجازية المستلزمة في التوبيخ، بينما حمل جواب "كمال" ثلاثة أفعال غير مباشرة كاملة، دلّ الأول منها على التوبيخ، ودلّ الثاني على الاستنكار؛ أي استنكار "كمال" لتصرفات طليقته التي لا تليق بمقام أم تخاف على مصلحة ابنها، أما الثالث فحمل دلالة أخرى فهو يريد أن يخبرها بأن تحاسب نفسها أولاً كونها الأم قبل محاسبة الآخرين.

بعد تبادلها التوبيخات وأخذ ورد في الكلام تخبره طليقته قائلة:

«بعد أن فكرت ملياً وجدت أن الأنسب لابننا وسيم هو العيش معك حتى لا ينشأ محروماً من عاطفة الأبوة. يا لعاطفة الأم الجياشة.. بالمناسبة متى تتزوجين؟»²⁹.

تخبر "أمل" "كمال" بضرورة بقاء "وسيم" معه، فهي لا تريد أن تحرمه من أبيه، فيردّ عليها متعجباً من عاطفتها القوية، وقد على دلّ ذلك بالصيغة (يالاً)، موجهاً لها سؤالاً استفهامياً عن موعد زواجها، دلّ عليه بالأداة (متى).

ستحدث لي قريباً وتدمرني،... أعلم أنّ نهايتي قريبة. كيف ومتى لا أدري²²

تسأل "ليلي" "صافيناز" إن كانت هناك مشاكل بينها وبين زوجها، فتجيب الأخيرة أن لا مشكلة في "رياض" معددة بعض خصاله، متشائمة من أحاسيسها التي تنبئ بقرب موتها، موظفة الاستفهام، وقد دلّت عليه بالأداتين (كيف) و(متى)، والفعل (لا أدري) الدال على الحيرة.

يحمل سؤال "ليلي" نوعاً من الاستدراج، فهي تعلم أن "رياض" هو حب حياة "صافيناز" ولا تعتقد ذلك، إنّما تحاول استدراجها لمعرفة إن كان "رياض" يتعامل معها معاملة حسنة، خاصة بعد أن لاحظت حزنها عندما قالت لها: «لقد تزوجت من أكثر الرجال وسامة وجمالاً»²³، أما جواب "صافيناز" فقد نفى تماماً ما كانت تتصوره "ليلي"، وحمل فعلاً كلامياً غير مباشر، زاد من صدمتها، تتمثل قوته الإنجازية المستلزمة في التوقع فـ "صافيناز" توقعت ما سيحدث لها، وهو الأمر الذي أكدته لاحقاً بقولها: «ستقربين يوماً في الجرائد خبر جنوني أو خبر رحيلي عن هذه الدنيا»²⁴.

ومن النماذج الحوارية التي ارتأينا أن ندرجها ضمن تحليلنا نظراً لثرائها بالأفعال الكلامية غير المباشرة حوار "كمال" مع طليقته "أمل" عندما حدّدا موعداً للالتقاء في أحد المطاعم للحديث في مسألة ابنهما الوحيد "وسيم" وكان "كمال" قد تأخر عن مواعده، فاستقبلته طليقته قائلة:

«هل كان عليّ أن أنتظر حضورك البيّ العمر كله؟ ألا تعرف أنني أقرب مجيئك منذ ساعة؟»²⁵

يتلقى "كمال" من "أمل" سؤالين استفهاميين بمجرد وصوله، الأول تنسأل فيه عما إذا كانت ستنتظره العمر كله، وقد وظفت الأداة (هل)، والثاني تسأله إذا كان يعرف أنها تنتظره، وقد وظفت فيه الأداة "ألا".

يحمل الاستفهام الأول فعلاً كلامياً غير مباشر تمثلت قوته الإنجازية المستلزمة في النفي؛ فهي تريد أن تقول له لن أنتظر حضورك العمر كله، ويحمل الاستفهام الثاني فعلاً كلامياً غير مباشر تمثلت قوته الإنجازية المستلزمة في العتاب؛ فهي تعاتبه على تأخره، رغم معرفته بأنها تنتظره.

يتواصل الحوار بين "كمال" و"أمل" يخبرها عن سبب تأخره، يشعل سيجارة ويدخنها، فتقول منفعة: «هل عُدّت للتدخين؟ ألم تتوقف عن هذه العادة السيئة؟»²⁶.

"نسيسة بولوفوة" أرادت أن تكون روايتها رسالة مضمرة يتدخل القارئ لفك ألغازها وقد ساهمت هذه الأفعال في بناء الفضاء التأويلي للنص مما ساهم في توليد مقاصد جديدة، أثرته وزادت من إنتاجيته، كما ساعدت في إزالة اللبس والغموض عن العديد من القضايا لعل أبرزها: تبين مدى عجز "ليلي" في حل قضية مقتل "صافيناز" على الرغم من مهارتها الفائقة، ونجاحها في حل العديد من القضايا قبل ذلك.

تبين الجانب السلبي لحياة "كمال" الرجل الناجح عمليا، والفاشل عاطفيا واجتماعيا والذي استثنته الكاتبة من القضية فكان دوره ثانويا فيها لانشغاله بمسألة ابنه "وسيم"، ومع هذا نتفاجأ به في النهاية حالا للغز الجريمة .

¹ بهاء الدين محمد زيد: تبسيط التداولية، ط1، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2010، ص18.

² أحمد نحلة: آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص14.

³ جواد خاتم، التداولية أصولها و اتجاهاتها، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 1437هـ-2016م، ص13.

⁴ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 1429هـ-2008م، ص55.

⁵ ينظر المرجع نفسه، ص59.

⁶ على محمود حيي الصراف: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية و معجم سياقي ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1431هـ-2010م، ص25.

⁷ المرجع نفسه، ص25-26.

⁸ العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ط1، دار الأمان، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، الجزائر العاصمة، الجزائر، 1432هـ-2011م، ص92.

⁹ علي محمود حيي الصراف: في البراجماتية، ص55.

¹⁰ المرجع نفسه، ص56.

¹¹ العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، ص96.

¹² المرجع نفسه، ص97.

¹³ نسيسة بولوفوة: نبضات آخر الليل، دار فيسيرا، ص12.

¹⁴ المصدر نفسه، ص13.

¹⁵ المصدر نفسه، ص14.

¹⁶ المصدر نفسه، ص62.

حمل جواب "كمال" فعلين كلاميين غير مباشرين، الأول مفاده الاستهزاء، فهو يعلم أن ما تقوله "أمل" غير صحيح لأن طليقته لا تفكر إلا بنفسها، أما استفهامه فقد استهله بلفظة "بالمناسبة" ليبين لها أن الأمر متعلق بشيء آخر، وهو ما بينه المعنى المضمّر من استفهامه، فهو لا يبحث عن موعد زواجها، ولكن يريد أن يخبرها أن قرب زواجها هو السبب الذي جعلها تتخلى عن ابنها بهذه السهولة، وهي التي كانت تُصعب الأمر قبلا فقط لإغاثته.

خاتمة:

يلاحظ مما سبق ذكره ثراء رواية "نبضات آخر الليل" بالأفعال الكلامية غير المباشرة التي استدعت في كل مرة الرجوع إلى السياق التواصلية الذي وردت فيه، لنفهم بأن

قائمة المراجع:

الكتب:

• نسيسة بولوفوة: نبضات آخر الليل، دار فيسيرا.(مصدر ومدونة الدراسة)

• أحمد نحلة: آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعي، 2002.

• بهاء الدين محمد زيد: تبسيط التداولية، ط1، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2010.

• جواد خاتم: التداولية أصولها و اتجاهاتها، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 1437هـ-2016م.

• على محمود حيي الصراف: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية و معجم سياقي، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1431هـ-2010م.

• العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ط1، دار الأمان، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، الجزائر العاصمة، الجزائر، 1432هـ-2011م.

• مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 1429هـ-2008م.

الهوامش:

- ¹⁷ المصدر نفسه، ص 62.
¹⁸ المصدر نفسه، ص نفسها.
¹⁹ المصدر نفسه، ص 42.
²⁰ المصدر نفسه، ص 43.

²¹ المصدر نفسه، ص 31
²² المصدر نفسه، ص 46.47
²³ المصدر نفسه، ص 46.
²⁴ المصدر نفسه، ص 47.
²⁵ المصدر نفسه ، ص 19
²⁶ المصدر نفسه، ص نفسها
²⁷ المصدر نفسه، ص 20.
²⁸ المصدر نفسه، ص نفسها.
²⁹ المصدر نفسه، ص 21